

ملخص:

تعد القضية الفلسطينية من أكثر القضايا العربية التي احتفى بها الأدب الجزائري عموما واستأثر بها الشعراء خصوصا ، بل إنها كانت في مقدمة القضايا والمآسي العربية التي انفعلوا وعبروا عنها في شعرهم وهم يترجموا بذلك إحساس الشعب وتعلقه بها ، فقد واكب شعراء الجزائر كل الأحداث التي عاشتها وستعيشها فلسطين فسجلوا وقائعها وساهموا في شحذ همم الجماهير لنصرة فلسطين ، ومن هؤلاء المبدعين الشاعر عبد الله حمادي الذي نظم شعرا طفوليا محفزا أطفال الجزائر على ضرورة حب فلسطين وتخليدها في الذاكرة الجمعية حتى لا ننسى أهم القضايا العربية وهذا ما تجسد في قصيدة " أطفالنا فإلى الحجارة. "

وعليه أطرح إشكالية مداخلتي كالآتي :

1 – كيف تماهى عبد الله حمادي مع القضية الفلسطينية ؟

2 – كيف استنهض همم الأطفال لجعل فلسطين جزءا من اهتماماته اليومية ؟

3 – كيف ومتى ظهر أدب الأطفال في الجزائر ؟ وما أهم مميزات شعر الأطفال ؟

الكلمات المفتاحية : فلسطين ، شعر الأطفال ، عبد الله حمادي ، الأدب الجزائري .

Abstract:

The Palestinian issue is one of the most celebrated Arab issues in Algerian literature in general, and poets in particular dominated it. Indeed, it was at the forefront of the Arab issues and tragedies that they were moved by and expressed in their poetry, thus translating the people's feeling and attachment to it. Algerian poets kept pace with all the events that they experienced and will experience Palestine, so they recorded its facts and contributed to sharpening the resolve of the masses to support Palestine

أ.د. عبد القادر العربي " تيمة " فلسطين في تجربة عبد الله حمادي الإبداعية.

Among these creators is the poet Abdullah Hammadi, who composed childish poetry, motivating Algerian children to love Palestine and immortalize it in collective memory so that we do not forget the most important Arab issues, and this is what was embodied in the poem "Our Children...".. To the stones".

Accordingly, I raise the problem of my intervention as follows :

- 1How did Abdullah Hammadi identify with the Palestinian issue ?*
- 2How did he mobilize children to make Palestine part of his daily concerns ?*
- 3How and when did children's literature appear in Algeria? What are the most important features of children's hair ?*

Keywords: Palestine, children's poetry, Abdullah Hammadi, Algerian literature .

أ. د. عبد القادر العربي " تيمة " فلسطين في تجربة عبد الله حمادي الإبداعية.

إن الشعر العربي في العصر الحاضر أصبح ملتزماً بقضايا الساعة و مُلّازماً للنهضة العربية عامة ، فالشعر رسالة حضارية أساسها التأثير والتأثر بعد ما كان الشعر في القديم يسبح في عالم الخيال أصبح اليوم يحاكي الحياة مباشرة و يواكب جميع تحولاتها التي تشهدها في مختلف المجالات ، و هذا ما رفع فنية الشعر اليوم لقد تغيرت الأغراض الشعرية و جاءت مكانها أغراضاً جديدة لها ارتباطات بالإنسان وقضايا اليومية الساخنة ، فظهر الشعر الثوري و الشعر الاجتماعي و الشعر القومي و السياسي ، فالشاعر المعاصر لم تعد تهمه الأشياء الخيالية بقدر ما تهمه الحياة الواقعية ، فسخر شعره للتعبير عن الأحاسيس و عن المجتمع العصري و المشكلات الاجتماعية ، إن الشعر سلاح بلا جواز سفر يتجول في أنحاء العالم لينقل لنا صوراً واقعية سواء كانت نضالية أو ثورية ، و الشعر الجزائري كامتداد للشعر العربي عامة خرج هو الآخر من حدود الوطن ليتجول في أنحاء العالم ليعكس لنا بصدق ما تعاني منه الشعوب العربية من اضطهاد و ظلم و جبروت ، وخاصة فلسطين الأبية التي عانت و مازالت تعاني من غطرسة الصهيونية العالمية و حليفها أمريكا و الغرب كله ، و هذا الشاعر عبد الله حمادي الذي هزته عاطفة الأخوة الدينية و النخوة العربية فنظم قصيدة حرك بها الساكن فينا وخاطب بها فئة الشباب الذين هم دحر الأمة والمُعول عليهم مستقبلاً ، فالشعر الثوري القومي هو ذلك الشعاع الطهور من النور الغامر الذي ينير الطريق للعرب جميعاً كي يواصلوا مسيرتهم النضالية من أجل تحرير فلسطين من براثن العدو الغاصب ، و بذل مزيد من التضحية لطرده الاستعمار و أعوانه من الأرض المقدسة فقد طال وجوده و استشرى فساده و أهلك الحرث و النسل و الجماد و كل شيء ،

ما مفهوم أدب الأطفال ؟

1 أدب الأطفال في الأرض المحتلة

لأدب الأطفال في الأرض المحتلة وجهان متناقضان يمثل الوجه الأول منهما أدب الأطفال الضحايا المقهورين الذين فقدوا ديارهم وشرذوا في المخيمات بعد أن حرّموا من حق التمتع بطفولتهم وهؤلاء هم الأطفال الفلسطينيون الذين يحتاجون إلى أدب يذكرهم بما وقع عليهم من ظلم ويؤهلهم لتحمل

مسؤولية مواجهة العدوان لاستعادة الحقوق المهضومة أو التي أضاعها آباؤهم ، أما الوجه الثاني لهذا الأدب فهو أدب الأطفال المعتدين الذين أخذوا مكانة الأطفال الفلسطينيين وحرّموا من التمتع بطفولتهم؛ هذا الأدب هو أدب الأطفال الصهيوني الذي يحاول تربية الأطفال الإسرائيليين على تزييف الحقائق ، وتنشئتهم على أن آباءهم لم يزدوا على أن استعادوا حقاً من حقوقهم التاريخية المشروعة التي يجب على هؤلاء الأطفال أن يستميتوا في الدفاع عنها ليورثوها لأبنائهم ، و للتعرف على بعض جوانب هذا الأدب لابد من التوقف عند عدد من نماذج أدب الطفل الفلسطيني، وعدد من نماذج أدب الطفل الصهيوني و سنبدأ بأدب الطفل الضحية لأنه صاحب الأرض الأصلي، ثم نتلوه بأدب الطفل الصهيوني الذي يحاول أن يقيم مملكة لأطفال إسرائيل على أنقاض مملكة الطفل الفلسطيني.

أ. د. عبد القادر العربي " تيمة " فلسطين في تجربة عبد الله حمادي الإبداعية.

أولاً: أدب الطفل الفلسطيني

كانت فلسطين ولا تزال قضية العرب الأولى وإذا كانت أجيال الكبار قد أضاعتها ولم تستطع استردادها فإن الأمل معلق على الأطفال ، أجيال المستقبل التي يرجى أن تنجز ما لم يستطع إنجازها الكبار، وقد عمل أدب الأطفال في الأرض المحتلة وخارجها على رعاية هذا الأمل وتعهده بالتربية التي تؤهله للدور الحضاري الخطير الذي ينتظره ، وتؤهله لتحمل المسؤولية التي عجز عن تحملها جيل الراشدين، وذلك بمحاربة ثقافة النسيان والحرص على إبقاء جذوة الأمل حية في نفوس الأجيال المقبلة في الأرض المحتلة وفي الشتات ، مع تصوير معاناتهم اليومية تحت الاحتلال و حرمانهم من حياة الطفولة التي يحياها أطفال العالم ، لأنهم و هم أطفال فرض عليهم أن يقوموا بدور العمالقة و أن يدفعوا من التضحيات ما لم يدفعه الكبار، ولكن الشعراء الذين كتبوا لأطفال الأرض المحتلة ليسوا جميعاً من شعراء الأرض المحتلة، و لكنهم يشعرون جميعاً بواجب واحد و يشتركون جميعاً في حلم واحد يحاولون دعمه و رعايته من خلال ما يرسمونه من صور لتخليد نضالات الطفل في الأرض المحتلة، و فتح أبواب الأمل أمامه ليزداد نضجه و يستمر عطاؤه حتى يدحر الاحتلال و يحقق ما عجز عن تحقيقه الكبار، و من أوائل شعراء الأرض المحتلة الذين تحدثوا بلسان الطفل نجد الشاعر الفلسطيني " هارون هاشم رشيد " الذي تحدث في قصيدة " مع الغرباء " بلسان طفلة تخاطب أباه بعد أن سئمت حياة التشرد في المخيمات، وقد استلهمها الشاعر ببيان حالة الطفلة فقال:

أنت ليلي لوالدها

وفي أحداقها ألم

وفي أحشائها نار

من الأشواق تضطرم

وقد غامت بعينها

طيوف هزها السقم¹

وعلى الرغم من قساوة حياة الطفل الفلسطيني يستوي في ذلك من هم تحت الاحتلال مع من هم في الشتات ، فإن أدب الطفل الفلسطيني لم يقتصر على تصوير ذلك الواقع الصعب الذي يحرم الطفل الفلسطيني حتى من حقه في الأحلام الجميلة كما يفعل كل الأطفال في العالم ، وكيف يحلم و هو كما قال الشاعر " عطف غانم " محاط بالخفافيش الصهاينة :

حدقت شيرين في حزني قليلا

وتوارت مقلتها في الفضا

¹ هاشم هارون رشيد ، مع الغرباء ، سلسلة كتب قومية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، د ط ، 1984 ، ص 6 .

أ. د. عبد القادر العربي " تيمة " فلسطين في تجربة عبد الله حمادي الإبداعية.

وبما ذا يحلم الأطفال ياشيرين والخفاش

يجتاح الشوارع والمساجد والمدن²

ولكن حلم الأطفال بوطنهم أكبر من أن تخنقه خفافيش الصهاينة فهم يقاومون بالحجارة و بالأناشيد ، وليظل هذا الحلم حيا متوهجا يجب أن يظل الأدب الموجه إلى الطفل الفلسطيني " يخاطب الأطفال بالقصة و بالمرحبة و بالأناشيد حتى يظلوا قابضين على الحلم بقلوبهم الخضراء ، إلى أن يكبروا وينخرطوا في صفوف المناضلين و يظل الشعر يصور حالهم بين الحلم و الواقع .

ثانيا : أدب الطفل الصهيوني

أدب الأطفال الصهيوني فرع من الأدب الصهيوني بصفة عامة ولذلك فهو لا يختلف عنه في مرتكزاته ومنطلقاته ولا يختلف عنه في مخططاته و أهدافه ؛ فهو ينطلق من فكرة أن الشعب اليهودي عانى كثيرا من الاضطهاد عبر تاريخه الطويل و هو إنما عانى ما عاناه من الاضطهاد لأنه شعب مسالم ، و ماعليه لكي يستعيد حقه في العيش على أرض أجداده إلا أن يتخلى عن طبع المهادنة والمسالمة ، وهذه العملية يجب أن تبدأ منذ التنشئة الأولى للأطفال إذا أردنا لهم مستقبلا مطمئنا يجنبهم حياة المآسي التي عاشها آبائهم عبر القرون الماضية ، ومن شعراء هذا الأدب في اسرائيل الشاعرة " شوشانة بيلوس " التي تحدثت عن تجربة الطفل الاسرائيلي في واقع الحرب من خلال قصيدة " ضيق عابر " والتي تم نشرها في الملحق الأدبي لجريدة " معاريف " بتاريخ " 18 أكتوبر 1968 م ، فتبدأ الشاعرة قصيدتها متباكية على حال طفل يندب موته و يصلي شاكيا للظلم المحيق بالطفولة الاسرائيلية نتيجة فقد ذويها بفعل الحرب قالت :

صلاة طفل في الحقل

تنادي على الميت

تحكي عن الظلم من تحت

شجرة قديمة

في مكان ليس من ينتبه فيه

لمرأى قدمين صغيرتين

تزلان منزلقتين في جنبه الحقل

بين ظلال متراكمة محتشدة

² أبو السعد عبد الرؤوف ، الطفل وعالمه الأدبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، 1994 ، ص 229 .

أ.د. عبد القادر العربي " تيمة " فلسطين في تجربة عبد الله حمادي الإبداعية.

وأصوات تبعث الخراب

في مدارك رقيقة³

2 شعر الأطفال موضوعاته وخصائصه الفنية

تعددت مواقف الشعراء من الطفل قديما و حديثا و تنوعت موضوعات شعرهم فيه حتى شملت معظم مناحي الحياة و همومها في السلم وفي الحرب على السواء ، و تنوعت كذلك تصنيفات الدارسين لهذا الشعر؛ فنظر إليه بعضهم على أنه كشعر الراشدين يمكن أن يصنف إلى شعر اجتماعي وسياسي و وطني ، و من هنا تنوعت موضوعاته، فجاء بعضه متعلقا بالأسرة كالأب " و الأم " و بعضه متعلقا بالمدرسة " كالمعلمة و المعلم و القسم " ، وجاء بعضه متعلقا بالمناسبات الوطنية، و تناول بعضه النشاطات الاجتماعية و المهنية كرياضة و الفلاحة و التجارة ، وغيرها من الموضوعات التي يصعب حصرها أو الإحاطة بها ، و من أهم الموضوعات التي تناولها الكتاب والشعراء نذكر :

أ - موضوعات شعر الأطفال:

إذا كانت موضوعات أدب الأطفال عند معظم الدارسين لا تختلف كثيرا عن موضوعات أدب الراشدين فإننا نفضل تسهيلا لدراسة شعر الأطفال، أن يقسم انطلاقا من علاقته بالطفل و هي لا تعدو أن تكون ثلاثة أصناف أو محاور كبرى و هي:

(1) شعر عن الأطفال " يقال فيهم "

(2) شعر للأطفال "يقال لهم"

(3) شعر بلسان الأطفال " يقال نيابة عنهم"

ويشمل الصنف الأول كل الأشعار التي تقال في الأطفال كتلك التي ترحب بقدمهم و تحتفي بولادتهم، أو تلك التي تتناولهم بالثناء بعد فقدانهم في سن مبكرة، وهذه الأشعار عادة تعبر عن مشاعر الكبار، وقد لا ينتبه إليها الأطفال لأنهم لا يعدون كونهم موضوعا لها وليسوا طرفا فيها، و لذلك أخرجها بعض الدارسين من مضمار أدب الأطفال، وقد يكونوا محقين في ذلك⁴.

ومن نماذج هذا الشعر ما استقبل به الشاعر اليمني محمد سعيد جرادة طفله الأول الذي رآه مثالا للأمل و هو ككل طفل قد يكون أملا لأسرته ولأتمته و قد يكون أملا للبشرية كلها، حيث قال في قصيدة "مولد هاني ":

أيها القادم يا مصدر أفراح الشعوب

³ البحراوي إبراهيم ، أضواء على الأدب الصهيوني المعاصر ، كتاب الهلال ، مصر ، عدد 275 ، 1972 ، ص 48 .

⁴ المقالح عبد العزيز ، الوجه الضائع " دراسة في الأدب والطفل " ، دار المسيرة ، بيروت ، 1985 ، ص 8 .

أ.د. عبد القادر العربي " تيمة " فلسطين في تجربة عبد الله حمادي الإبداعية.

يا بشير الأمل المونق والعمل الخصيب

جئت في حين انتظار العين للفجر الحبيب

إن خير القطر ما انهل على القطر الجديب

ما نشيد الطير قرب النهر في الوادي الظليل

وحفيف الزهر النادي لدى الفجر البليل

ورنين العــــود في أحضان فنان أصيل⁵

وهي قصيدة طويلة وجميلة ولكنها لا تعبر إلا عن إحساس الأب بالفرحة العارمة و الخوف المفزع في الوقت نفسه : فهو فرح بقدوم هذا الطفل الأمل و لكنه خائف عليه من دنيا الناس التي تحولت إلى غابة لا مكان فيها للفضيلة و القيم الإنسانية النبيلة، و تعد مرثية الشاعر المهجري " زكي قنصل " لابنته " سعاد " التي توفيت ولم تتجاوز الشهر الثامن من عمرها من أكثر القصائد تعبيرا وتأثيرا في الأدب المهجري، ومنها قوله :

رفت رفيف الأقحوانة وانطففت في عمرها

ماذا جنت حتى تصيدها الردى في فجرها !

يا رب لا تحبس فؤادي لحظة عن ذكرها

أنا قد عبدتك بسمه وضاءة في ثــــغرها

وشممت أنفاس الحياة شديدة في شعرها⁶

وأما الصنف الثالث . وهو ما يقال على السنة الأطفال أو نيابة عنهم . فهو أكثر فنون الشعر التصاقا بطبيعة الطفل، لأن الشاعر يحاول من خلاله أن يعود إلى زمن طفولته ليعبر عن أحاسيس الأطفال و يتكلم بألسنتهم و بلغتهم عن آمالهم و طموحاتهم، و هو نوع من الشعر لا ينجح فيه من الشعراء إلا أولئك الذين استطاعوا على كبرهم وسعة تجاربهم وثراء خبراتهم أن يحتفظوا بشيء من طفولتهم ، و بقدر خصوبة ما احتفظوا به من زمن الطفولة تكون خصوبة ما يكتبونه على ألسنة الأطفال من أشعار، و هذا النمط من الشعر يشمل كل نواحي الحياة، و يتناول كل موضوعاتها من أبسط الأشياء إلى أكثرها ثراء و تعقيدا ، و من نماذجه المتعلقة بالألعاب، و هي الهواية الأولى للطفل، خاصة في مراحل طفولته المبكرة، هذه الأغنية للشاعر محمد الأخضر السائحي، وهي من أجمل الأغاني المقررة على تلاميذ السنة الثالثة من التعليم الأساسي، ونصها :

هيا نلعب قبل المغرب

⁵ المقال عبد العزيز ، الوجه الضائع ، ص 50 .

⁶ جعفر عبد الرزاق ، أدب الأطفال ، ص 2032 .

أ. د. عبد القادر العربي " تيمة " فلسطين في تجربة عبد الله حمادي الإبداعية.

أمسك كفي اجر خلفي

أبعد عني أقرب مني

قوّ جسمك نشط فهمك

لا تبقي بعيد اللعب مفيد⁷

3 مفهوم أدب الأطفال وأهم مراحل

يتكون من مضاف (أدب) ومضاف إليه (الأطفال)، ولكي نفهم محتواه بشكل مقبول يستحسن أن نحاول التعرف على معنى عبارة " أدب الأطفال " لندرك الفروق الشكلية والموضوعية التي يتميز بها أدب الأطفال عن أدب الراشدين، والتي يجب أخذها بعين الاعتبار عند الكتابة للأطفال أو دراسة أدبهم.

إذا كان أدب الراشدين معروفاً . أو يبدو معروفاً . لدينا، فإن أدب الأطفال لا يختلف عنه في طبيعته ولا يختلف عنه في وظيفته، وإنما يختلف عنه في جمهوره فجمهور أدب الأطفال جمهور متميز عن الراشدين بمجموعة من الخصائص التي تفترض تميز أدبه عن أدب الراشدين، وهذا التميز . كما سنرى . لا يغير طبيعة الأدب من حيث هو أدب، وإنما يتناول كيفية تقديمه للطفل بشكل تحترم فيه طفولته وتراعى ميوله ورغباته في كل مرحلة منها، ويُمكنه في النهاية من اكتساب المعرفة دون التضحية بالمتعة.

4 وإذا كانت تلك هي الشروط وتلك هي الغاية، فما هو أدب الأطفال ؟

يختلف الدارسون والمنظرون في تعريف أدب الأطفال باختلاف منطلقاتهم الفنية والأيديولوجية فيقدم بعضهم الوظيفة التي يجب أن يؤديها أدب الأطفال على ما سواها من الخصائص، وهذا ما نراه عند الاشتراكيين بصفة عامة وعند القائلين بفكرة الالتزام. ويكتفي بعضهم في تعريفه بالتوقف عند الكيفية التي يجب أن يقدم بها أدب الأطفال، بغض النظر عن الوظيفة الاجتماعية التي يمكن أن يؤديها. ويحاول الفريق الثالث أن يجمع بين الكيفية والوظيفة، وهذا ما سنراه من خلال التعريفات التالية :

من الكتاب الاشتراكيين الذين تناولوا أدب الأطفال الكاتب الروسي مكسيم غوركي الذي يرى " أن أهم واجبات كتاب أدب الأطفال وأكثرها جدية تنحصر في تقديم كتب للطفل تبحث في أصل الملكية الخاصة وتوضح له كيف تصبح الملكية الخاصة عقبة رئيسية في درب التقدم الإنسان ، و يحدد غوركي النقطة التي يجب أن ينطلق منها أدب الأطفال والأهداف التي ينبغي أن يحققها، فيقول في المجتمعات الإنسانية يثور نضال عنيف يزداد ضراوة يوماً بعد يوم ويهدف إلى تحرير طاقات الجماهير الكادحة من ربكة الرأسمالية وإلى تحويل القوة العضلية إلى القوة العقلية الفكرية ويرمي إلى السيطرة على قوى الطبيعة وإلى تحسين الصحة وإطالة حياة

⁷ السائحي محمد الأخضر ، أناشيد وأغاني الأطفال ، المكتبة الخضراء ، الجزائر ، 2000 ، ص 14 .

أ.د. عبد القادر العربي " تيمة " فلسطين في تجربة عبد الله حمادي الإبداعية.

العمال فوق سطح الأرض كلها. هذه المبادئ هي بالضبط التي ينبغي أن تصبح قاعدة لكل الأدب الطفولي ولكل كتاب موجه للطفولة بما في ذلك سن ما قبل المدرسة⁸.

ومن التعريفات الملتزمة أيضا تعريف الأستاذ نجيب الكيلاني: الذي يقول: أدب الأطفال الإسلامي هو التعبير الأدبي الجميل، المؤثر الصادق في إحياءاته و دلالاته و الذي يستلهم قيم الإسلام و مبادئه و عقيدته، و يجعل منها أساسا لبناء كيان الطفل عقليا و نفسيا و وجدانيا و سلوكيا و بدنيا، و يساهم في تنمية مداركه، و إطلاق مواهبه الفطرية و إطلاق قدراته المختلفة، وفق الأصول التربوية الإسلامية، و بذلك ينمو و يتدرج الطفل بصورة صحيحة تؤهله لأداء الرسالة المنوطة به في الأرض، فيسعد في حياته و يسعد به و معه مجتمعه، على أن يراعي ذلك الأدب وضوح الرؤية، و قوة الإقناع و المنطق.. ذلك هو المفهوم العام لأدب الأطفال⁹.

فالفكرة التي نعنيها بالأدب هي تلك المجموعة من الخبرات ذات الدلالة بالنسبة للأشخاص الذين يستخدمونها ، و نظرا لأن هذا السجل من الخبرات ليس مقصورا على الكتابة و جب أن نُضمّن في عرضنا للأدب بالنسبة للأطفال كل أنواع الصور حيثما وجدت بحيث لا يقتصر الأمر على الكتب هذا فضلا عن أسطوانات التسجيل والتسجيلات الإذاعية. ويضاف إلى هذا أنه حيث يستحيل فصل هذه المواد عن الصور المأخوذة منها ، و هناك من " يرون في كلمتي (أدب الأطفال) ما يشير إلى مجموعة من المادة منتقاة بعناية لترضي الشكل الفني ويكون فيها ما يجتذب الناحية الانفعالية لدى الأطفال ، و هناك غيرهم يرى في أدب الأطفال ما يشمل مجموعة الكتابات التي يعتبرها الأطفال خاصة بهم ، و يقترب منه في هذا الرأي محمد حسن بريغش الذي يركز في تعريفه على طبيعة الطفل أكثر من تركيزه على وظيفة الأدب، حيث يقول: فأدب الأطفال هو النتاج الأدبي الذي يتلاءم مع الأطفال حسب مستوياتهم وأعمارهم، وقدرتهم على الفهم و التذوق وفق طبيعة العصر، و بما يتلاءم مع المجتمع الذي يعيشون فيه ، و لا يمكن أن نبحث عن أدب الطفل بالصورة التي يعرفها هذا العصر، كما لا يمكن أن نبحث عن أي لون أدبي أو عن أي علم بالصورة التي نعرفها اليوم فكل عصر له سماته وله طبيعته وله أذواقه وأسلوبه¹⁰.

5 عبد الله حمادي وقضية فلسطين :

تعد القضية الفلسطينية قضية كل عربي ومسلم حيث احتلت مقدمة القضايا السياسية التي لقيت تفاعلا كبيرا ، باعتبارها قضية إنسانية بحتة حاضرة في ضمير كل إنسان يرفض الظلم والاستبداد والاحتلال ، قضية تاريخية جذورها فريدة من نوعها ، قضية دينية لقداستها و مكانتها الدينية المهمة ، إذ صوّر الشعر العربي معاناة الشعب الفلسطيني محاكيا الواقع المرير و الأليم بكثير من الحزن و الأسى ، والشعر الجزائري الحديث والمعاصر لم يكن بدعا من هذا الأمر ، إذ اعتبر المبدع الجزائري القضية الفلسطينية قضيته و كرامته فتناولها منذ زمن غابر وحاول مسابقة المراحل التي مرت بها القضية منذ ظهورها على مسرح الأحداث

⁸ جعفر عبد الرزاق ، أدب الأطفال ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1979 ، 180 .

⁹ الكيلاني نجيب ، أدب الأطفال في ضوء الإسلام ، مؤسسة الإسماء ، قسنطينة ، 1991 ، ص 14 .

¹⁰ بريغش محمد حسن ، أدب الأطفال " أهدافه وسماته " مؤسسة الرسالة ، ط3 ، بيروت ، 1997 ، ص 46 .

أ. د. عبد القادر العربي " تيمة " فلسطين في تجربة عبد الله حمادي الإبداعية.

السياسية العربية و العالمية ، وهذا ماحاول تجسيده واقعي المبدع الجزائري " عبد الله حمادي " في قصيدته " أطفالنا ... فإلى الحجارة " التي خاطب بها الشاعر عبد الله حمادي أطفال فلسطين فقال:

قتلوك في وضح النهار	وأطلقوا عبثا إشارة
قذفوك في وسط الريا	ح إلى مواويل الحجارة
وترصدوك لتقتفى	متلبسا بدم الحجارة
وتوافدوا شيعا تمو	ج فأبحروا صوب المنارة
قطعوا الطريق على الطريق	وأشربوا نخب المارة
سود التعصب مدبري	ن ، بخيبة رعت حقارة
كسبوا الحصار وسيجو	ه، وحكموا قيم الدعارة
سحبوا الشهيد وعلقو	ه على سطوح مُستثارة

.... أطفالنا ... أن الأوا	ن ، لتنهضوا ... فإلى الحجارة
فإلى جذوع النخل تع	شق ، في منابتها الطهارة
فالله يمنح في " جني	ن ، وطولكرم قبس الشرارة
شدوا برموشكم ورد	وا ، على الصفوف المستعارة
من كل محجرة يد	دكت على المبكى جداره
حبل المشانق لا يحز	رقــــــــــــــــاب أسئلة مُثارة
.... أطفالنا .. ملء الطريق	تقدموا دوسوا الإشارة
غضب يصعده المصلى	إلى شــــــــــــــــوارع كل حارة
فتبعثرت أرجاؤه	و تشتــــــــــــــــت في كل حارة
زمن المشاتل أينعت	فيه السنابل و الغضارة
شرف الطفولة في المخيم	أن تجــــــــــــــــنبه احتضاره

أ د .عبد القادر العربي " تيمة " فلسطين في تجربة عبد الله حمادي الإبداعية.

هزت مع المقلاع أغنية تفجر كل غـارة

.... أطفالنا ... ملء البيادر	و البنـادق والعمارة
الغاصبون من الضباب	نسيجهم و من النشارة
هتكوا عطور الياسمين	... و دنسوا حرما مزاره
قطعوا جديلة طفلة	هتفت مع الرفض انكساره
و توغلوا باسم الطقـو	س ، ... و أوقدوا حرب الخسارة
و تناسلوا باسم التشـر	د ، ... و الإيـادة والإغارة

..... أطفالنا ... أن التحدي	لتضربوا ... فيألى الحجارة
و إلى صهيل الأغنيـا	تـ ، و كل لاعنة قراره
و تسلقوا جبل الجليـد	فـإنه محض استعارة
دكوا أعاليه التـي	شمخت مزابلها المـعارة
و دعوا على حيطـانهم	من لون أدمعهم أمـارة

.... أطفالنا أن الهجوم	لتنسفوا زبد القذارة
ضموا صدور مطيكم	للريح وانتحلوا اعتصاره
فعلى جبين الأغنيـا	ت ، مواسم تهب النضارة
قدس لنا و لكل من عشق	العدالة في الصدارة
و لكل زنبقة نبت	رحيق من صنعوا البشـارة
و إلى لفيف الغاصبين	أعنة خضر مثـارة
فيألى الشتات تردهم	و إلى الخـروج من الحضارة

أ.د. عبد القادر العربي " تيمة " فلسطين في تجربة عبد الله حمادي الإبداعية.

..... أطفالنا آن الأوان لتتسلفوا زبد القندارة¹¹

فالدكتور عبد الله حمادي توجه بخطابه إلى شريحة معينة من الأطفال لها قدرة على استيعاب التلميح والتصريح معا، فطالب الأطفال بمحاربة مظاهر الهزيمة المجسدة في جيل الكبار وتطهير أنفسهم من دنس الاقتداء بهذا الجيل المهزوم، وحرّضهم على تطهير الوطن من قذارة الاحتلال التي عجز جيل الكبار عن إزالتها، وامتازت قصيدة حمادي بطول النفس و في الكمية الإيقاعية التي بنيت عليها وهذا شيء طبيعي؛ لأن شريحة الأطفال التي خاطبها الشاعر هنا غلب عليها طابع الفتوة بل هي أقرب إلى الرجولة، و دخل في هذا المجال كل ما يتوجه به الكبار إلى الصغار من نصائح لهدف تربوي، وهي كثيرة منها ما يتعلق بطاعة الوالدين، ومنها ما يتعلق بحب الوطن والاستماتة في الدفاع عنه، ومنها ما يخص طاعة المعلم والإصغاء إليه للاستفادة من نور علمه، فقد مضى الشاعر عبد الله حمادي مصورا لنا عمق الأثر الذي خلفته الأحداث الدامية على أرض فلسطين، و التي حزت في نفوس الأبناء الذين قاموا لكي يغسلوا العار بمحاربة الصهيونية وكل تقسيم لفلسطين، واستمر الشاعر في التنديد بمواقف الخزي والعار التي سلكها المجتمع الدولي تجاه فلسطين وشعبها الأبّي، مذكرا بأن الضغط يولد الانفجار و ردود الأفعال و أن الفلسطينيين لا تخفيهم الآلة الحربية للعدو الصهيوني، وهم أهل للدفاع عن أرضهم ومقدساتهم وكرامتهم، و هو يدعو الشعوب العربية لإظهار الرابطة الروحية بين المسلمين شرقا وغربا، و يدعو إلى مواقف أكثر صلابة و وضوحا لتزداد لُحمة الفلسطينيين، وقد ركّز الشاعر على دور عقيدة الإيمان في نفوس الشعب الفلسطيني وهو الضامن الأكثر نجاعة لتحرير فلسطين من براثن العدو الصهيوني، فالإيمان بالقيم الإسلامية هو السبيل إلى المحافظة على فلسطين و هذه الفكرة يتفق فيها معظم المبدعين الجزائريين لا سيما الذين ينظرون منهم إلى فلسطين من زاويتين الزاوية الدينية و الزاوية القومية، و في قصيدته السابقة شهّر الشاعر بعصابات اليهود التي تجردت من الإنسانية و ذلك بقتلها للأبرياء و بث الرعب بين السكان، و بهيئة الأمم و الشعوب الغربية التي كانت وراء كل مصيبة حلت بفلسطين، إذ يرى الشاعر بأن الشباب هو الذي سيحقق النصر المؤزر على الصهاينة، وهو خير ملهم للثورة و خير مقتدر للذود عن الحيض و كرامة الأمة العربية و الإسلامية، و قد تعجب الشاعر من هذا الدخيل الذي أصبح يخاصم أهل الدار و أصحابها الحقيقيين علانية، و لذا حذر من أطماعه التي فاقت كل الحدود و أنّ أمانيه في احتلال فلسطين دونها مصاعب لا تحصى و لا تعد، و دونها جيش من الشباب و الأطفال المتأهبين للدفاع عن شرف الأمة و كلّهم استعداد لسحق كل من يريد أن يعيث فسادا في فلسطين أو في أرضها الطاهرة، و علت نبرة الشاعر حمادي لتثير الحماسة بين أبناء الأمة و لتبشر بطلوع صباح جديد في حياة الأمة، فنجم العرب قد لاح في الأفق و اشتدّ أزمة تنفجري، فالشاعر حذر أعداء العروبة بأن وقت المساومة و المراوغة و الخداع قد ولى؛ لأن العرب قد وحدوا صفوفهم و استعدوا لاسترجاع حقوقهم بالقوة و أن استعادة دورهم قد أهلّ هلاله و أشرق صبحه، فكل أبّي لا يرضى أن تُداس أرض العروبة و لا أن يرضخ شعب مسلم تحت حكم السفاكين و مصاصي الدماء، فقد دعا مرارا و تكرارا إلى الثبات على المبادئ و التمسك بالوحدة و تفويت الفرصة على كل متربص بقضية فلسطين، فقد حاول الشاعر أن يكفكف دموع الثكالي و ناشدها الصبر و الثبات وتوحيد الصفوف، فهو لم

¹¹ حمادي عبد الله، ديوان البرزخ والسكين، ط 5، دار نوميديا للطباعة والنشر، قسنطينة، 1998، ص 30 - 35.

أ.د. عبد القادر العربي " تيمة " فلسطين في تجربة عبد الله حمادي الإبداعية.

يستطع كتمان حسرته و إخفاء تأوهاتة أمام ما يحدث لفلسطين و شعبها الأبي ، لقد ساهم عبد الله حمادي في إيصال قضية فلسطين للشعب الجزائري في كلمات موحية و عميقة و سلسلة و هو يخاطب أطفال الحجارة و رجال المستقبل ، إذ نبه إلى الخطر الذي يدهم هذا الجزء الغالي من الوطن العربي و بعث الحماس في النفوس الصافية الغيورة على أمتها للدفاع عن المقومات الحضارية للأمة ، و قد غلب على نظرة حمادي الطابع الإسلامي و العربي لقضية فلسطين و نظرتة هذه مستمدة من الواقع و هي نظرة هدف و مصير مشترك ، فقد تجول بنا الشاعر في بعض مدن فلسطين ليذكرنا بدورنا في استردادها و تدميرها و عدم الاستغناء عنها ، فقد ذكر اسم طولكرم و جنين لأنهما قبس الشرارة التي ستحرق العدو الغاشم و من والاه ، فمصيبتنا في القدس و نكبتنا فيها هو الاستعمار الذي عمل على تفريق شملنا بشتى الوسائل ، و لذلك يجب علينا طرده إلى غير رجعة فالصهيونية هي وليدة الاستعمار الذي هو الرأس و هي الذنب ، وإذا قُطع الرأس مات الذنب و أنّ استسلامنا إلى غيرنا هو السبب في ضياعنا و خير شاهد على ذلك هو تراب فلسطين ، من خلال قصيدة عبد الله حمادي تبين لنا بأن المبدع الجزائري قد رافق القضية الفلسطينية منذ ظهورها لأول مرة في عشرينيات القرن الماضي ، فكشف الخروقات و الجرائم التي ترتكب باسمها و التي يقتربها العدو الغاصب ليلا و نهارا ، فقد تابع الأبداع الجزائري جميع مراحلها و أطوارها المختلفة منذ إعلان وعد بلفور المشؤوم في 2 نوفمبر 1917 م مروراً بانتفاضات الشعب الفلسطيني الأبي الصامد في الثلاثينيات ثم رفضه لقرارات التقسيم ، و مازال المبدع الجزائري يقف وقفة إجلال و مساندة للقضية الفلسطينية إلى يوم الناس هذا ، و المطلع على الأدب الجزائري لا شك أنه يلاحظ عدم انعزالية المبدع الجزائري عن قضايا أمتة رغم ما فرضه الاستعمار الفرنسي على شعبنا من قيود و حدود ، فصلة المبدع الجزائري لم تنقطع يوما ما عن المشرق العربي و قضايا الهامة و المصيرية ، بل زادت اليوم أكثر من أي وقت مضى لحمة و ترابطا و تضامنا خاصة في هذه الأيام الصعبة على الشعب الفلسطيني الصامد ، فستظل القضية الفلسطينية أم القضايا التي ينبغي أن نناصح عنها حتى الموت ، و قد استعان المبدع عبد الله حمادي في توضيح مشاعره و أحاسيسه بآلية تصويرية لإيصال مراده من شعره ، فقد حركت القضية الفلسطينية كيانه وزعزعتة فنظم شعرا خالدا ليستنهض الهمم و يدفع بأطفال فلسطين لاعتلاء القمم و رد نغم العدو ، فالشاعر بصفته مبدعا و إنسانا يحمل في ذاته رسالة نبيلة موضوعها توعية كل شريف في هذه الأمة ، ليدافع عن النخوة العربية و العزة الإسلامية لفلسطين و نصرة إخوانه المجاهدين المرابطين على ثغورها ، إذ يعتبر فلسطين الجرح المفتوح والذي لم يندمل بعد ، و يأبى التعافي و الشفاء إلا بخروج آخر جندي صهيوني من الأرض الطاهرة ، لقد بث شاعرنا عبد الله حمادي من خلال هذه القصيدة آلامه الشديدة و آماله المنشودة و إحساسه العميق بجراح الشعب الفلسطيني ، و كله أمل في انبجاس شمس الحرية و النصر المبين للشعب الفلسطيني .

7 القضية الفلسطينية في الشعر الجزائري الحديث والمعاصر:

في عصرنا الحاضر و مع ازدياد شدة التضييق على الفلسطينيين في جميع مناحي الحياة تفاعل المبدع الجزائري مع القضية الفلسطينية من أجل المساندة والتضامن وجبر الخواطر ، إذ أصبحت القضية الفلسطينية في مقدمة القضايا التي انفعل وتفاعل معها شعراء الجزائر وعبروا عنها في نتاجهم الشعري ، وهم

أ.د. عبد القادر العربي " تيمة " فلسطين في تجربة عبد الله حمادي الإبداعية.

يترجموا بذلك إحساس الشعب وتعلقه بها وإيمانهم بحق أبناء فلسطين في استرداد وطنهم السليب ، وقد نالت هذه القضية مكانا خاصا في شعرهم منذ أمد بعيد ، لقد خلّد شعراء الجزائر اسم فلسطين ووضعوه وشاحا لقصائدهم النارية و الثورية ، كل ذلك جاء في نتاج شعري ينبض بالحب لفلسطين و النقمة على العدو الصهيوني و الحزن على ضياع جزء غال من وطننا العربي و درة مصونة دنسها الطغاة ، و يعتبر المبدع عبد الله حمادي من الشعراء المعاصرين الذين جعلوا من شعرهم خدمة لدينهم ووطنهم وشعبهم ، فكانت القضية الفلسطينية من أهم انشغالاته باعتبارها قضية إسلامية و قومية ، فقد حرّك النفوس الخاملة و نبه العقول التائهة و ركز على فئة الأطفال و الشباب ، لأنهم أمل الأمة المنشود في استرداد الوطن المسلوب وفي اعتقاده بأنهم هم الغضب الساطع الذي سيلهب بسياطه جلود العدو الغاصب .

إن الإرادة العربية لم تستسلم و لا يمكن عزل الإنسان العربي عن أعز ما يملك في هذه الحياة أرضه الغالية و لغته العربية التي تثبت هويته كعربي ، فالظروف الصعبة التي تمر بها الأمة العربية تستوجب الإسراع إلى التضامن و الاتحاد وتحضير كل الإمكانيات لمواجهة التآمر الصهيوني ؛ لأنها أوضاع جد خطيرة تعيشها فلسطين ، لقد أقسم المخلصون من هذه الأمة على أن يضحوا بأرواحهم حتى تتحرر فلسطين ، إن ما يقوم به الصهاينة في حق الفلسطينيين دليل على وقاحتهم وسخافة عقولهم ، و إن العمليات الحربية و الأعمال الإجرامية لا تزيد الثوار الفلسطينيين إلا إصرارا و عزيمة على التمسك بالحقوق المشروعة و التثبيت بالأرض و العض عليها بالنواجذ ، و ستزيدهم صمودا مضاعفا أكثر من ذي قبل ففلسطين منذ القدم موطن العرب ، وإنهم لم يقبلوا لأي دخيل أن يقتسم أرضهم معهم أو يندس بين صفوفهم ، فههدف الشعب العربي و الفلسطيني بصورة خاصة هو استمرار الكفاح المسلح ضد العدو الجاثم على صدور إخواننا الفلسطينيين ردحا من الزمن ، لأن فلسطين للفلسطينيين و لا بد أن يتحقق هذا الشعار في يوم ما ، و يتحول إلى عقيدة راسخة في قلب كل عربي يرخص الموت في سبيلها و تهون التضحيات من أجلها ، إن مأساة فلسطين الراهنة هي قضية جوهرية من القضايا العربية المهمة و المعقدة في الوقت ذاته ، و لهذا يتطلب من العرب و المسلمين تطوير العلاقات بينهم بفعالية للتصدي و لمواجهة عدوهم و الاستدمار الصهيوني ، و بوضع أنفسهم على الجرح الحقيقي الذي تعاني منه فلسطين الجريحة ، و تعزيز العمل المشترك من أجل مساعدة الشعب العربي الفلسطيني ؛ لأن العدو الصهيوني مهما طال وجوده و احتلاله لهذه الأرض العربية لن يسجل له التاريخ عمرا طويلا في حمانا ، إن الشعب الفلسطيني الذي يعيش مشردا عن أرضه و أهله و دياره يؤكد رفضه و استنكاره للممارسات العنصرية و العدوانية التي تقتربها عصابات " ننتياهو و حلفائه " ، و برغم إجراءات العدو و احتياطاته السريعة لمواجهة ردود الفعل الشعبية ، إلا أن الواقع يشير إلى غليان الشعب الفلسطيني الذي عبّر عن رفضه و احتجاجاته على إجراءات العدو التعسفية ، فاشتداد معارك المواجهة التي يخوضها الشعب العربي في الأرض المحتلة يتطلب تحقيق المزيد من التلاحم عن طريق الصمود و التصدي لحلقات التآمر التي تحاول النيل من الأمة العربية ، و عرقلة تقدمها و نهوضها القومي و الحضاري ، إن الشعب العربي بإرادته القوية لن يتخلى عن شبر واحد من أرضه مهما كلفه ذلك من تضحية ، و لا بد للظلم أن يتبدد و الباطل أن يزهرق و القيد أن يتحطم و ينكسر ليعيش هذا الشعب في سلام وحرية بعد ما طال صراعه مع عدو لا يفهم لغة غير لغة السلاح والدماء .

المراجع :

- ¹ هاشم هارون رشيد ، مع الغرباء ، سلسلة كتب قومية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، د ط ، 1984 .
- ² أبو السعد عبد الرؤوف ، الطفل وعالمه الأدبي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط 1 ، 1994 .
- ³ البحراوي إبراهيم ، أضواء على الأدب الصهيوني المعاصر ، كتاب الهلال ، مصر ، عدد 275 ، 1972 .
- ⁴ المقالح عبد العزيز ، الوجه الضائع " دراسة في الأدب والطفل " ، دار المسيرة ، بيروت ، 1985 .
- ⁵ السائحي محمد الأخضر ، أناشيد وأغاني الأطفال ، المكتبة الخضراء ، الجزائر ، 2000 .
- ⁶ جعفر عبد الرزاق ، أدب الأطفال ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1979 0
- ⁷ الكيلاني نجيب ، أدب الأطفال في ضوء الإسلام ، مؤسسة الإسراء ، قسنطينة ، 1991 .
- ⁸ بريغش محمد حسن ، أدب الأطفال " أهدافه وسماته " مؤسسة الرسالة ، ط 3 ، بيروت ، 1997 .
- ⁹ حمادي عبد الله ، ديوان البرزخ والسكين ، ط 5 ، دار نوميديا للطباعة والنشر ، قسنطينة ، 1998 .